الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تأبين الأستاذ على محمود طه بالمنصورة

كان يوم الخميس الماضي يوم وفاء المنصورة لابنها الذي أنجبته وأهدته إلى عالم الشعر والخلود، شاعر مصر الراحل المغفور له علي محمود طه. فقد نظمت جماعة الأدباء هناك حفلا لتأبينه لم يكن مقصوراً على المنصوريين، بل قصد إليه من القاهرة جمع من الأدباء والكبراء كما خفت إليه أسرة تحرير «الرسالة» في صحبة أستاذنا الكبير الزيات. وحججنا إلى البلد الجميل الذي أنبت صديقنا الفقيد لنلقى روحه الهائم على منبته ومثواه. وقد رأيت المنصورة لأول مرة فأحسست كأني آلفها من قبل كما أحسست عند أول لقاء للصديق الراحل. وقد عدنا منها وما يزال خيالها ماثلا في نفسي، كما أن روح عزيزنا الشاعر سيظل خالداً في عالمنا خلود شعره وذكراه.

نظمت جماعة أدباء المنصورة حفل التأبين، وأشرف عليه الأستاذ علي بك الحاكم رئيس الجماعة ومراقب التعليم بالمنصورة، وكانت مشاركة وزارة المعارف متمثلة في رئيس الحفل وكلمة معالي وزير المعارف وحضور الأستاذ أحمد خيري بك وكيل الوزارة وفي المكان نفسه وهو المدرسة الابتدائية، وهي التي تلقى فيها الشاعر الفقيد دراسته الابتدائية.

بدئ الحفل — بعد الافتتاح بآي الذكر الحكيم — برسالة بعث بها الأستاذ علي أيوب بك وزير المعارف الأسبق، أبدى فيها الأسف لعوائق حالت بينه وبين الحضور، وقال فيها: كان فقيدنا شاعراً بفطرته وطبعه، أديباً بإحساسه المرهف وعواطفه الجياشة وذوقه الصافي، إلا أن دراسته للهندسة قد تركت أثرها في أدبه وشعره، ومن هنا كان شغفه بالموسيقى ونزوله على ما يقتضيه حسن الأداء وجمال التوقيع، والموسيقى تمت إلى العلوم الرياضية بأقوى سبب، بل إن هذه العلوم هي أساسها الأول ودعامتها الكبرى. وكانت له ميوله السياسية واتصالاته الحزبية، ولكنه أبى إلا أن يكون قومياً في شعره السياسي مثالياً فيما ينظم أو يقول.

وأشار الأستاذ الحاكم — في كلمته — إلى اعتزاز المنصورة بشاعرها الأصيل، قائلا إن روحه الفنية الخالدة لم تقبع في موطنه، وإنما فاض سحرها على البلاد العربية وامتد إلى الغرب، فعلي طه إنسان عالمي، وسيظل شراعه الرمزي جائباً الآفاق إلى ما شاء الله.

وألقى الأستاذ عدلي الصيرفي كلمة سعادة عبد السلام فهمي جمعه باشا رئيس مجلس النواب، وقد عبر فيها عن شعوره نحو صديقه الشاعر وألمه لفقده.

وقام الأستاذ محمد سعيد العريان فألقى كلمة معالي الدكتور طه حسين بك وزير المعارف، قال فيها: آسف أشد الأسف لأن الظروف لم تتح لي أن أشهد اجتماعكم وأن أعرب عن حبي وإعجابي بالشاعر العظيم، وعن حزني وحزن الذين يتذوقون الأدب ويكلفون بالشعر الرفيع على فقده. وهي كلمة قصيرة تشبه الاعتذار بالبرقيات السخية. وقد كنا نود أن نسمع كلمة فياضة في علي طه من طه حسين عميد الأدباء ولكنا لم نظفر إلا بهذا الاعتذار العاجل والتقدير المجمل من معالي الوزير.. ونحن نكبر عميدنا أن نخليه من العتاب في هذا الموقف لعدم أداء ما كان يقتضيه ...

وتحدث الأستاذ أحمد حسن الزيات فتمثل في حديثه وفاء الصديق وجمال البيان مع وضوح الصورة التي رسمها الشاعر في عبارات موجزة موفية. وترى كلمة الأستاذ في صدر هذا العدد من «الرسالة»

وكان ختام النثر كلمة الأستاذ حبيب الزحلاوي، قال: إن فقيدنا كان له إلى أحبابه المعجبين بشعره أحباب خصوم، وأنه — الزحلاوي — كان من الفئة الثانية إذ خاصمه خصومة أدبية خلت من الشوائب. وليسمح لي الأستاذ الزحلاوي، وقد أشاد بالخصومة الأدبية وأثرها الطيب في الصداقة، أن «أخاصمه» في بعض ما جاء بكلمته من قوله الشاعر «أحببته في خلائقه وسجاياه في مرحه وبوهيميته ...» فالكلمة الأخيرة ذات ظلال غير لائقة بالمقام.

وقد جنح الأستاذ إلى القضايا العقلية أكثر مما عنى بأن يغذى كلامه بماء العاطفة، فجاءت كلمته غير خطابية . .

أما الشعر فقد ألقى منه ثمانى قصائد للأساتذة محمد عبد الغنى حسن وعلى الجارم ومحمد مصطفى حمام والسعيد يوسف والدكتور عزيز فهمى الحمامى ومحمد فهمى وعبد الغنى سلامه والدكتور سعيد أبو بكر. وقد دل الشعراء فى مجموعهم — لا جميعهم — على أن مكان الشاعر المحتفل بتأبينه لا يزال شاغراً . فقد كان أكثر ما أنشدونا من الشعر الوسط وما دونه . .

أما قصيدة الأستاذ عبد الغنى حسن فهى جيدة ، منها قوله :

يأيها الملاح مالك لم تعد
الشاطىء المهجور بعدك مظلم
وقف النداى فيه لم تهتف بهم
شفة ولم يضحك بسامرهم فم
يترقبون هناك عودة شاعر
قد لفه البحر الخضم الأعظم
وضموا الأكف على العيون ليرقبوا
وتنظروك على الرمال وخيموا
لكنما طال المدى بوقوفهم
فاستوحشوا من يأسهم واستسلموا
قل للرفاق الحالمين تيقظوا
ودعوا الأمانى الكواذب عنكمو
حلم من الأحلام عودة ذاهب
لا تحلموا بمجيئه لا تحلموا

وكذلك كانت قصيدة الفلال ، ومنها قوله :

على حسبك والذكرى مبرحة
أنى عجزت وعجزى فيك إكبار
يا فارس الشعر والجندول آنية
وجرسها فى مغانى الشرق سيار
ومالىء النيل آيات مخلدة —
كيف احتوتك ببطن الترب أشبار

ومنها :

يا ملهم الطير حلو السجع كيف ترى
من بعد فقدك تحيى السجع أطيار
شبابراعك كم فى الطرس أطربها
كأنه من فم القمرى منقار
وإن كان لا يعجبنى التشبيه
فى البيت الأخير ، فالشاعر حقاً يكتب بشبابراعه ولكن القمرى
هل يغنى بمنقاره . ؟ —

على هامش الرسالة :

ركبنا بعد انتهاء حفلة التأبين ودفعنا إلى قصر الأستاذ عميد الرسالة بضيعته القريبة من مدينة المنصورة . وان علينا فى أول الأمر وجوم من ذكرى الفقيد الذى رحلنا المشاركة فى تأبينه . ولكن كان معنا الأستاذ — محمد مصطفى حمام ... وكيف يكون معنا حمام ولا يتبدل هذا الحال ؟ هذا الأستاذ الزيات الذى كان يغالب دموعه وهو يلقى كلمته فى الحفل لم يلبث أمام غمزة حمام الفكاهية أن استسلم ونشط للابتناس ، وزادت بشاشته إذ حللنا داره .

شئون الأسبوع

□ وافق مجلس المجمع اللغوى فى جلسة الأسبوع الماضى على نتيجة المسابقة الأدبية لسنة ١٩٤٩ — ٥٠ التى قررتها لجنة الأدب بالمجمع ، وقرر أن يحتفل بتوزيع الجوائز فى الأسبوع الثالث من مارس الحالى . وتمنح الجوائز كما يلى : ٢٠٠ جنيه لكل من أحمد أحمد بدوى و عبد السلام هارون الأول عن بحثه فى « رفاعة الطهطاوى » والثانى عن تحقيقه كتاب « الحيوان » و « مجالس ثعلب » و ١٠٠ جنيه لكل من طه الحاجرى و بنت الشاطىء ، الأول عن تحقيق « البخلاء » و الثانية عن تحقيق « رسالة الغفران » ونلاحظ أن الجوائز كلها منحت لإحياء كتب قديمة وليحث أدبى واحد . أما القصص فقد رؤى أن ما قدم منها لا يستحق الإجازة .

□ أصدر معالى وزير المعارف قرارا بتشكيل اللجان الثلاث التى ستتولى فحص الكتب التى تقدم لنيل جائزة فؤاد الأول للآداب والقانون والعلوم فى سنة ١٩٥٠ . ولجنة الآداب مكونة من : على عبد الرازق (رئيسا) و ابراهيم مصطفى و أحمد أمين و أحمد حسن الزيات و أحمد زكى و عباس الجمل و عبد الحميد العبادى و محمد توفيق دياب و محمد خلف الله احمد و محمد عبد الواحد خلاف و محمد عوض محمد و محمد فريد أبو حديد و منصور فهمى — أعضاء . ويتولى سكرتارية اللجنة محمد عوض ويعاونه على أدهم ومحمود الخفيف . ومقدار الجائزة ٣٠٠٠ جنيه ألف جنيه لكل من الآداب والقانون والعلوم ، وتوزع على الفائزين فى احتفال كبير يقام فى الجامعة يوم ٢٨ أبريل القادم .

□ يسعى الأديب العربى السائح الأستاذ محمد على الحوماني لدى الحكومة المصرية لتنشىء مدارس لأبناء المهاجرين المسلمين فى الولايات المتحدة لتثقيفهم بالثقافة العربية الإسلامية وهو يواصل هذا السعى منذ ثلاث سنين ، وقد قدم أخيرا من أمريكا إلى مصر فى طريقه إلى لبنان ، وأخذ يتصل بالمسئولين وخاصة الدكتور طه حسين بك وزير المعارف . ومما يذكر فى هذا الصدد أن سفير مصر فى نيويورك كامل عبد الرحيم بك اقترح — بعد أن اطلع على تقرير كتبه الأستاذ الحوماني — أن يبنى جناح خاص فى مسجد واشنطن لتنفيذ الفكرة .

□ استدعى الأستاذ زكى طليمات برسالة برقية من شمال افريقيا حيث كان يرافق الفرقة المصرية فى رحلتها الفنية هناك . وذلك للعمل على تكوين الفرقة النموذجية التى قرر وزير المعارف إنشاءها من خريجى معهد التمثيل العالى . والأستاذ زكى طليمات عميد المسرح المصرى — يعمل منذ سنوات على إخراج فكرة هذه الفرقة إلى حيز الوجود ، لإنهاض الفن المسرحى وتجديده بعناصر من الجيل الجديد الذى يتلقى فن التمثيل علميا وعمليا مع ثقافة شاملة . وستضم الفرقة الجديدة بعض الممثلين الكبار إلى جانب خريجى المعهد الشبان ، على أن يراعى فى الاختيار الشخصيات المتماسكة الخلق الممتازة فى الفن .

جعل حمام يحدثنا حديثاً عجباً من كل لون ! ولكنه أفاض في الرواية عن جماعة من الظرفاء تميزوا بطابع خاص أو كان لكل منهم طابعه الخاص ، ولكنهم يجتمعون في صفة مشتركة هي غزو مجالس الكبراء وكسب مودة هؤلاء وعطفهم ورفدهم بما يأنون من الملح وما يحسنون من الدعابة وأساليب التهريج ، من هؤلاء من مات كالشيخ عبد الحميد النحاس ومنهم لا يزال على قيد الحياة. ولا شك أن حياة هؤلاء جديرة بالكتابة عنها فهم يمثلون لوناً يشبه ما ذخرت به كتب الأدب من أمثال «الأغاني و « العقد الفريد » وغيرهما ، وللكتابة عن هؤلاء المعاصرين قيمة خاصة من حيث ملابساتهم العصرية واتصالاتهم برجالات العصر الحديث ، وما يقترن بذلك من مفارقات وطرائف في الأدب والسياسة والاجتماع. وقد أشرنا على حمام أن يكتب هذه الذكريات ويجمعها في كتاب أو كتب ، ولكنه يقول : يخيل إلي أن الحديث عنهم لا يحلو إلا شفوياً . والواقع أن حمام يتقمص الشخصية التي يتحدث عنها ويضيف إليها نفسه .. فإذا حكى أن فلاناً قال فالقائل هو حمام !

وإذا رأى أن ما يقصه لم يحدث في المجلس التأثير المطلوب ارتجل ما يصل به إلى ما يريد من التأثير ناسباً إياه إلى من يتحدث عنه ! فهو وضاع فنان لا يشق له غبار ..

وكذلك كان الرواة والمؤلفون في القديم على ما يخيل إلي . فأكثر ما نقرؤه من قصصهم ونوادرهم موضوع ، لم يقصد به الكذب وإنما قصد به الفن . ولك أن تعتبره خيالا على نحو الواقع ، يشبه في ذلك فن القصص المصري .

ونعود إلى حمام وطرائفه التي أغرقنا في سيلها المتدفق . حكي عن أولئك الظرفاء أنه التقى في بلده بإمام المسجد ، فرآه يحمل بعض العنب في قرطاس ، فبادره بقوله : ما هذا يا مولانا ؟ عنب ! ولماذا لم تشتر بطيخة بدل هذا العنب ؟ ألا تعلم ما للبطيخة من مزايا لا توجد في العنب أو غيره ؟ إنك عند ما تقصد إلى الفكهاني لشراء البطيخة ، يقف لك في احترام وتقلب أنت البطيخ ، فيراك الناس فيقبلون يجاملونك بانتقاء بطيخة جيدة ، وبعد الشراء يأمر الفكهاني صبيه ليحملها وراءك وقد يتطوع لذلك أحد الناس وقد يكون من وجهاء البلد . وفي هذه الحركة مظاهرة ذات شأن ، إذ يعلم الناس أن الشيخ قد اشترى بطيخة ! فأين من هذا أتفه العنب التي تأخذها وتذهب لا يدري بها أحد ...

وإنه لمن الوجاهة أن تسير وشيخ البلد يحمل لك البطيخة . وعند ما تقترب من باب الدار تنادي : يا ولد ! تعال خذ البطيخة . وتلتفت إلى حاملها قائلا بأعلى صوتك : تفضل ! والله تفضل ارلا تخش شيئاً فإنه لن يتفضل . وبذلك يسمع الجيران ويعلمون أن الشيخ كريم يدعو بعزم شديد ، كما يعلمون أنه يبر أولاده فيشتري لهم البطيخ .. وتدخل البطيخة الدار فيهرع إليها الأولاد ، هذا يركلها ، وذا يدحرجها ، وذاك يزاحم أخاه عليها ، وذلك يصيح : بابا أتى ببطيخة ! وأنت من وراء ذلك كله تنظر مغتبطاً ، ثم تصيح : هاتوا السكين ! ويكون قطع ثم قضم ونحت . ويبقى القشر واللب فالأول تقطعونه للدجاج أو تتفضلون به على دجاج الجيران ، والثاني تجففونه وتقلونه وتتسلون به أنتم وضيوفكم نحو أسبوع ... وهكذا تقضون أسبوعاً حافلا بالمرح والسرة جديراً بأن يسمى « أسبوع البطيخة » فياسيدنا الشيخ أين من هذا كله أتفه العنب التي يلتهم كل منكم حبات منها فتذهب في الجال لا يبقى لها ذكر ولا أثر ؟ !

وشملت طرائف حمام نوعاً من الناس نراه ظافراً مقدماً عند الكبراء وغيرهم ، ولا مزية لأحدهم ظاهرة ولا كفاية تبرر ما يلقونه من نجاح وتقدير ، هذا أحدهم في مجلس رجل من رجالات الدولة يقول له صاحب المجلس وهو يعلم أنه لا يحسن شيئاً مما يطلب منه : أنشدنا قصيدة من شعرك .

— لست شاعراً

— قل لنا زجلا

— لا أقول الزجل

اقرأ لنا ما تيسر من القرآن الكريم

— لست من أهل القراءة

فيقول الكبير : إذا كنت لا تنظم الشعر ولا الزجل ، ولا تقرأ القرآن مع ما أنت عليه من زي علماء الدين ، فبأي حق تجلس معنا ، يا .. .. وما بعد «يا» هو المزية التي من أجلها يجالس صاحبنا في مثل ذلك المجلس !!

وقد أعدى حمام بقية الإخوان ، فصار الجميع يتسابقون في الدعابة والتندر . كنا في حديقة المنزل نمتع الأنظار بمرأى الأشجار